دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	منطلقات السياسة الخارجية الإيرانية ما بعد الثورة
المصدر:	شؤون الأوسط
الناشر:	مركز الدراسات الاستراتيجية
المؤلف الرئيسي:	القلم، محمود سريع
المجلد/العدد:	ع21
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1993
الشهر:	أغسطس
الصفحات:	24 - 30
رقم MD:	640872
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	السياسة الخارجية، الثورة الإيرانية، إيران، الشيعة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/640872

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

منطلقات السياسة الخارجية الإيرانية ما بعد الثورة (**)

محمود سريع القلم (*)

أود في البداية أن أشكر مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق على دعوته لي إلى زيارة لبنان لتقديم هذا الموضوع حول السياسة الخارجية الإيرانية في مرحلة ما بعد الثورة. وهذه الزيارة بالنسبة إلي مناسبة فريدة جداً، للبدء بحوار بين الأكاديميين في إيران والأكاديميين في العالم العربي، وخصوصاً في لبنان.

فبحدود معرفتي، هذه هي المحاضرة الأولى في نوعها التي يلقيها اكاديمي إيراني في الأوساط الأكاديمية اللبنانية حول السياسة الخارجية الإيرانية.

سأقسم عرضي إلى قسمين: السياسة الخارجية الإيرانية في مرحلة ما قبل وقف إطلاق النار، والسياسة الخارجية الإيرانية في مرحلة ما بعد وقف اطلاق النار.

فأنا أرى أن هناك فروقات مهمة بين المرحلتين.

ثمة فرضية رئيسية في مجال السياسة الخارجية، وهي أن هذه السياسة استمرار للسياسة الداخلية في أي بلد.

أعتقد أنه في فترة ما قبل وقف إطلاق النار، سيطرت ثلاثة مفاهيم على مجمل سلوك السياسة الخارجية الإيرانية، هي: المساواة والمركزية الإيديولوجية والأصالة. وسأحاول لاحقاً أن أعرض كل واحد من هذه المفاهيم على نحو مفصل.

إذا شئنا أن نفهم السياسة الخارجية الإيرانية فمن المهم جداً أن نفهم الثورات بشكل عام. فثمة عناصر مشتركة بين الثورة الإيرانية وبين الثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة الصينية وسائر الثورات.

ومن الطبيعي جداً أن تنظر البلدان التي تمر في وضع ثوري إلى الامور بشكل درامي، وأن تنخرط في تجارب ذات طابع درامي، وأن تمر في عدد كبير من التقلبات [في مواقفها]. وهكذا، فإن السياستين الداخلية والخارجية الإيرانيتين والسلوك الإيراني بشكل عام، لم تخلُ من هذه التأثيرات النظرية والايديولوجية.

١ ـ المساواة

هذا المفهوم كان له دور مهم في توجيه السياسة الإيرانية. فالمجتمع الإيراني طور منذ قرون عدة هذه الفكرة الإجتماعية وهذا المفهوم الإجتماعي. وهو، في ما اعتقد، مفهوم اساسي جداً ليس لفهم السياسة الإيرانية فقط بل لفهم الاقتصاد الإيراني والحياة الإجتماعية الإيرانية والسلوك الإيراني في مختلف المجالات ايضاً. وقد طغت فكرة المساواة هذه بشدة على التفسيرات

(*) أستاذ جامعي ومستشار في المجلس الأكاديمي القومي ـ إيران.

(**) في الأصل محاضرة ألقيت في مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت، بتاريخ ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٩٣.

الإديولوجية للسـلطة والثروة والتراتبية والمنظمات الإجتماعية. وبرزت هذه الفكرة في السياسة الإجتماعية في إيران في واقع أن المجتـمع الإيراني يرى في وجود تراتبيـة في المجتمع أمراً إشكالياً، فهـو، أي المجتمع، يحـاول أن يؤسس لهـا ليس على أسـاس القواعـد والتنظـيمات السيـاسية والإقتـصادية والعـسكرية، بل على أسـاس مختلف تمامـاً، فهو يحاول أن يعـود إلى المرجعيات الـروحية والاخلاقية والإنسانيـة للسلوك البشري. وقد رأينـا أن إيران عانت، على مدى سنوات، مـشكلة كبيرة في تطـبيق المفاهيم والتنـظيمات الإدارية. فهي تنظـر إلى التراتبية بطـريقة مختلفة تماماً. وبـتعبير آخر يمكن القـول، على المستوى النظـري، إن المجتمع الإيراني عانـى بعد الثورة صعـوبات كبيرة، وخصوصاً في مجال السياسة الخـارجية، مع مفهوم الواقعية الطاغي على نمط التفكـير الغربي وعلى أنماط التفكير الدولي بشكل عام، في مـا يتعلق بالسياسة بعـامة وبالسياسة الخارجية بخاصة.

إذ اقمنا بتحليل مضموني للخطب السياسية في إيران ما بعد الثورة وحتى وقف إطلاق النار ـ وهو أحد الأساليب المتبعة في العلوم السياسية، لدراسة الخطب السياسية للأفراد وتصنيفها تبعاً للقواعد المفهومية والنـظرية التي ترتكز عليها ـ سـنجـد أن إيران تتحدى بشكل جدي الإجماع الدولي حـول فكرة القـوة، وكيف يتم إحـرازها. فقـد عبر ممثلـو إيران وزعماؤهـا، سواء في المفـاوضات الثـنائيـة أم في المؤتمـرات الدوليـة، عن إيمانهم الـراسخ بأن القـوة الإقتصـادية والعسكريـة ليست هدفاً بحد ذاتها، بل إن القوة الإنسانية الحقيقية والتراتبية الإنسانية الحقيقية إنما تقومـان على الأخلاق ونمو الفضيلة. وقـد يبدو هذا أمراً غـريباً في روحانيته (Mystical) لدى العديد من العاملين في السياسة الخارجية على المستوى اليومي المباشر، ولكني أعتقد أنه يمثل جزءاً مهماً في تكـوين المنظار الذي نظرت النخبة الإيرانيـة من خلاله في شؤون وقضايا السياسة الخارجيـة. فالمساواة بجـذورها الايديولـوجية ترفض تـرتيب البشر والطبقـات بحسب بناهم العسكرية والإقتصاديـة. والأمـة ـ الدولة تعد دولة تؤمن بالمـساواة عندما لا تعد نفسها أفضل من الآخرين بما تملكه من قـوة إقتصادية متراكمة ومن امكانات عـسكرية وهجومية ومن تمايز عـرقي. وبالتالي، فإن ما حدث في السياسة الخارجـية الإيرانية بعد الثورة يكمن، من وجهة النظر المفهومية، في أن إيـران رفضت القاعدة السياسيـة للقوة السائدة في السـاحة الدولية، فهي كانت تنتقد بـاستمرار إعتماد الدول والحكـومات الغربية التعـدديةَ في الداخل والاستغلالَ في الخارج. وقد كـان هذا الموقف مـبدأ جامـعاً مشتركـاً للشجب الإيـراني للحكومـات الغربيـة ولكثير من الحكومات غير الغربيـة. وإذا نظرنا إلى السلوك الإيراني في لبنان وأفغانستان والعراق، وحتى إلى المقاربة الإيرانية للولايات المتحدة وأوروبـا الغربية وبعض الدول المجاورة، كالسعودية وتركيا، فإننـا سنرى أنه كان، حتـى وقف إطلاق النار، يفتقـر بشكل كبير إلى التفـكير الواقعي وانه كان يرتكز على مجـموعة مختلفة من المعايير تجد جذورهـا أساساً في الأسس الأخلاقية والروحية بل

المساواتية أيضاً.

وليست فكرة المساواة هذه غريبة عـن الادبيات السياسية الغربية. فالمطلع على هذا النوع من المنـاقشات يعرف أن هناك ما يسمى الـسياسة العليا في مواجهة السيـاسة الدنيا. وعادة تتعاطى الـبلدان عبر سياستهـا الخارجية بعضهـا مع بعض على قاعدة الـسياسة العليـا التي ترتكز على الـواقعية. إلا أن السيـاسة الخارجية الإيـرانية إنطلقت في تطـوير مقاربتـها للدول الأخرى، على المستوى المفهومي على الأقل، من النظـر إلى السياسة الدنيا: أي الى الأسس الإجتماعية وإلى غيرها من المعايـير. وحتى لو نظرنا إلى نجـاح أنظمة العالم في اوائل السبعـينات، التي طُورت أساساً في الولايات المتحدة من قبل محـامين، ومن قبل اولئك الذين يؤمنـون بالمقاربة القانـونية للسياسة العالمية، فإننا سنجد أنهم ينطلقون من المقاربة نفسها. فهم يحاولون تصنيف الأمم لا على أساس قوتها الســياسية والإقتصاديــة بل إنطلاقاً من معايير أخـلاقية ومساواتية مخـتلفة. فإذا أخذنا التصريحات والمـواقف التي عبرت عنهـا السياســة الخارجية الإيـرانية ونصــوص المفاوضات الإيرانيــة، سنجد أن الاشارات إلى الانقسامـات الأخلاقية والروحية بـين الأمم هي السائدة. هذا المفهوم للمساواة يعبر عـن نفسه بطرائق مختلفة في ســائر الثورات، كالثـورة الروسية والثورة الصينية والثورة الكوبية، أو في ثورات العـالم الثالث الأخرى، كثورة الجزائر وغيرها، التي تملك جميعاً هذا الرفض الطبيعي والمنطقي جداً للنظام العالمي. ولئن ارتكز هذا الرفض في بداية الثورة الإيرانية على مفهوم المســاواة، فإننا إذا نظرنا إلى الحـالة الروسية أو الحالـة الصينية سنجد أن لديها صيغة مختلفة للنظر إلى النظام العالمي.

٢ ـ المركزية الايديولوجية

المجال الثـاني المهم جداً في مرحلة ما بعـد الثورة حتى وقف إطلاق النار هـو مفهوم المركزية الايديولوجيــة. لم تأخذ الثورة الإيرانية في الحقيقة وقتـاً طويلاً لتحقق النجاح مقابلة بالكثير من الثورات الأخرى، كالثورة الفـرنسية والثورة الجزائرية والثـورة الروسية. فالفترة الفعلية التي يمكن أن نعدها فترة ما قبل الثورة استمرت نحو العام ونصف العام.

وانتصار الثورة الإيرانية بهذه السرعة خلق ذهنية لدى نخبة ما بعد الثورة منحتها الكثير من الثقة في مـا يتعلق بوضعها، وأعطتها قدراً هائلاً من الأمل في تـأسيس امبراطورية إيرانية. لذا من الطبيعي جداً والمـنطقي جداً، نظراً إلى وضعية الثورة الإيرانية وموقعها الجغرافي في منطقة فشلت القومـية فيها كما لم تكن الشيوعيــة فاعلة، وتميزت بوجود مـشاكل كثيرة، أن تكون هذه الثورة الإسلاميــة في إيران مصــدراً للأمل وباعثـاً على انتشــار المقاربــة الايديــولوجــية لعمل الــدولة (Statecraft). ولذا فإن إيـران، ولأسباب طبيعية وجغـرافية، نظرت الى نفسهـا كمركز لهذه الحـركة الإسلامية في العالم الإسلامي. نعرف جميعاً أنه كان لدينا، على مدى أكثر من ١٥٠ عاماً،

حركـات إسلامية جدية في الشرق الاوسط، مـن مصر إلى الخليج الفارسي، وفي جميع أرجاء العالم الإسلامي من الغرب إلى ماليزيا، وعلى الرغم من تعدد المقاربات والتجمعات الإسلامية فيه بدا أن الثورة الإسلامية في إيران تحظى بكثير من التأييد.

وانطلاقاً من هذ الموقع النفسي والثوري، مالت الدولة الإسلامية والنخبة الإسلامية في إيران، إلى الإعتقاد أنهـا في وسعها تقـوية نفسهـا مع توسع افق الايـديولوجـيا والإيمان الإسلاميين. وبالتـالي فإن الجذر المفهومي لهذه المقـاربة لمشاكل العالم الإسلامي ولـوجود القوى العظمى في الشرق الأوسط، وللأنظمة الغربية التـي تحكم هذه البلدان، يكمن في هذا الأمل وفي هذه الرؤية أن سرعة انتصار الثورة الإسلامية وسهولتهـا في إيران قد جعل الإيرانيين يأملون في أن ما حدث في ايـران يمكن ان يحـدث في أي مكان مـن العالم الإسلامي. وهكـذا فقد قـامت إيران بقـيادة دفة سياستهـا الخارجية على قاعـدة هذا الأمل وهذه المركـزية، محاولة تـوجيه التطورات في الشرق الاوسط وتحديد اولوياتها.

فمنذ بداية الثـورة وحتى وقف اطلاق النار على ما اعتقد كانـت إيران رمزاً للمقاومة وحاملة للراية الإسلامية. لـذا فقد كانت الفكرة السائدة انه كلـما عززت إيران نفسها زادت ثباتاً واقترب موعد نشوب الثـورات الإسلامية الأخرى. وعلى قاعدة هكذا منـظومة من المعتقدات وهكذا رؤية للمنطقة اعتبرت إيران نفسها نواة ومركزاً للايديولوجية الإسلامية وللحركات الإسلامية.

ولم تكتف إيران بالعـالم الإسلامي، بل حاولت تسويق فكرة كفـاحية العالم الثالث في بعض المناطق في آسـيا وأفريقيا أيضـاً، اقتنـــاعاً منهـا بأنه في إثر فشل تجارب الـسبعينات في العالم الثالث يمكن تقديم موجة جـديدة من المقاربـــات الايديولوجـيـــة، المختلفة تماماً عن المقاربات الأخرى، ليس للمسلمين فقط ولكن لسائر دول العالم الثالث أيضاً.

٣ ـ الأصالة

النقطـة الثالثة التي اعتقد أنهـا مهمة جداً، والتي كان لها تـأثير كبير في السلوك الإيراني، هي فكرة الأصالـة التي أعتقد أنه كان لها تأثير مفهومي، درامي في حجمه، في الطريقة التي قاربت بها إيران القوى العظمى على وجه الخصوص. فـإيران كانت تشير بشكل مستمر إلى دروس التاريخ وإلى الأعوام الـ ١٥٠ المـاضية التي عـاشتها تحـت سيطرة الحكـومات البريطـانية والـروسية والأميركية، والى انه بات لديها الآن، بوضـعها الفريد وبقوتها الشعبـية والقومية الهائلة، القدرة على مقـاومة الضغط الخـارجي والحفاظ على وضعهـا الحالي واتباع خـط ونمط تفكير مختلفين تماماً في المستقبل. وحتى لو أخـذنا الدستور الإيراني بعد الثورة، فهو يحث على تطبيق لامركزية واسعة في عملـية صنع القرار في البلاد. وبكلمات أخرى، فإن إحـدى المشاكل التي تواجهها إيران هي مـشكلة اللامركزية وعدم وجود ما يكفي من المركـزية التي تتطلبها المهام الدولية. فالاعتزاز

بالماضي المجيد، بغناه الاجتماعـي والثقافي والأدبي والسياسي والحضاري، جعل النخبة الإيرانية، مثلها مثل الكثير من أعضـاء المجتمع الإيراني، تملك صورة مضخمـة عما كانت إيران في القرنين الأخيرين.

وهكذا سعت إيران وراء الأصـالة في كل المجالات: الإقتصاد ومقاربـات السياسة الخارجية، وعملية صنع القـرار السياسي، وتحديـد أولويات المسـتقبل. وأظن أن ذلك قد أدى دوراً كبيراً في ذهن أفراد النخبة الإيرانية في أنهم يريدون أن يكونوا فريدين وأن يكوآنوا أنفسهم ويعيدوا إحياء الماضي. وعلينـا أن نبقي في ذهننا أيضـاً أن النخبة الإيرانيـة في مرحلة ما بعـد الثورة تتألف من رجال دين يملكون عقلاً شديد التبنـي للاصالة وللمقاربة الاصولية لفئتهم الخاصة ولمجتمعهم. فإذا نظرنا مثلاً إلى النخبة في افريقيا والعديد من النخب في الشرق الأوسط وفي العالم الثالث بشكل عام، نجد أنها تمتعـت بالكثير من الاحتكاك مع الخارج ومع العالم، وأنها تفكر وفق معايير كونية وعالميـة مختلفة تماماً، في حين أن المنـظار الذي نظرت عبره النخبـة الإيرانية إلى واقع الأمور وما يجب أن تكون عليه، هو منظار داخلي منطلق من الاصالة.

لذلك، وانطلاقاً من هذه الـذهنية، فإن إيران قـاربت على الدوام الشؤون المتصلـة بالسياسة الخارجية إنطلاقاً من معياري التكافؤ والـسيادة الأيديولوجية. ويمكن أن نستشعر هذه المقاربة الأيديولـوجية في كل المفاوضات وفي كل التصريحات والمواقف الموجهة إلى الغرب وإلى الشرق وإلى كل معـسكرات القوة في العالم.و هو أمر طـبيعي، إلى حد ما، بالنسبـة إلى نخبة ثورية ولكنه يعود أيضاً لأسباب تاريخية وثقافية متراكمة.

أعتـقد أن هذه المفاهيم الثلاثـة قد وجهت السياسـة الخارجية الإيرانيـة مفهومياً حتى وقف إطلاق الـنار بشكل شامل. لكن أعتقد أنه بعد وقف اطلاق النار بات هناك خطان من التفكير هيمنا على السياسة الخارجيـة الإيرانية، فمن جهة بقيت إيران في تصريحـاتها ومواقفها مركزاً للثورة الإسلاميـة؛ ومن جهة اخـرى، وبالتـوازي مع هذا الاتجاه شق اتجـاه آخر طريـقه في المقاربات الإيرانية، وهو الفكرة القـائلة بضرورة البحث عن المصالح القومية الإيرانية، إذ شـهدت مرحلة ما بعد وقف إطلاق النار دخول مفهوم المصلحة القـومية الذي هو في أساس المدرسة الواقعية، وقد جرى تطبـيقه إلى حد ما. فإيـران دخلت بعد وقف إطلاق النار في مـرحلة المأسسـة الصعبة جداً لمجـتمعها ولثورتها، وتتـطلب هذه المرحلة منهـا أن تولي اهتماماً بإيـران الدولة ـ الأمة وبشرائح المجتمع الإيراني المختلفة، وهـو مجتمع متحرك جداً، فنصف عـدد سكانه دون الثلاثين عاماً من العمر وهو متعطش لـلنمو. وفي هذا السياق اكـتسبت المصلحة القوميـة الإيرانية أهميتها. ولكي أكون منصفاً وعلمياً في تحليلي ليس من الصحيح القول إن المثل العليا للثورة لم تعد موجودة، بل هي موجودة كجزء من النظام، إذ يتم التحـدث عنها والإشارة إليها، كما أن بعضها لا يزال يعمل به. ولكن أظن أنه في الـوقت نفسه عندمـا يتعلق الأمر بالاقـتصاد وبالـتنمية الإجتـماعية تكون

الاولوية لإيران الدولة ـ الامة.

هكذا فـإن الفرضية الرئيـسية القائمة على الأصـالة الإسلامية وعلى إيران كمـركز للمقاربة الأيديـولوجية والإسلاميـة، قد استمرت وكـانت أحياناً تـتناقض مع المصلحة القـومية. لذلك فإن الأعمال المتعلقة بالدولة كدولة والتخطيط المتعلق بالنمو تتطلب، خلافاً للتخطيط للحرب، أن تهتم البلاد بمجموعـة مختلفة جداً من الأمور وبـبرنامج عمل مختلف تماماً في أولـوياته. لذا أعتقد أن هذيـن الخطين من التفكير مـوجودان معاً، ويتـطوران بالتـوازي. ان فكرة تطـوير بلد إسلامي نموذجي هي فكـرة دقيقة. وكما نعـرف من العديد من الـتجارب في العقود الأربعـة أو الخمسة الأخيرة، فإن بناء النـموذج وبناء الدولة همـا ظاهرتان وعمليـتان شديدتا التـفرد. فإيران تحيا وتعمل في ظل نظـام دولي علماني(Secular) . ولكي تتحـول إلى بلد معـياري عليهـا أن تقدم وتطور نموذجاً معيارياً شديد التعقيد والتشابك يمكن أن يعمل بسلاسة ليس في محيطه الاقليمي فقط بل على المستـوى الدولي أيضاً. لـذا ينبغي جعل القواعـد والأعراف السماويـة متوافقة مع القوانين والتوجهات العلمانية السائدة في النظام الدولي. وهكذا، تنظر إيران الى نفسها ليس كدولة ـ امـة فقط لديها العديد من المـشاكل الداخلية المتنوعـة التي تحتاج إلى حل على مستوى الأمة، بل إنها لا تزال تـنظر إلى نفسها، ولأسباب إسلامية وثوريـة، كنواة للعالم الإسلامي تتمتع بالعديد من الخبرات التي لا يتمتع بها الآخرون. لذا فان الـتحدي الذي يواجه إيران يتمثل بتطوير سلوك متأقلم مع نظام عالمي شديد التعقيد قادر على الدفاع عن المصالح القومية الإيرانية في الوقت الذي تحتفظ بموقعها الأيديولوجي.

أعتقد أن أهم المشاكل والقضايا التي تواجه السياسة الخارجية الإيرانية في وقتنا الحاضر هي مسألة الصورة. فإيـران تعاني كثيراً مشكلة الصورة التي تظهر بها، ليس على المستوى الإقليمي فقط بل على المستوى الدولي ايضاً. والكثير من الذين يسافرون إلى إيران يصابون بدهشة شديدة، إذ إن ثمة فرقاً هائلاً بين الصورة التي كانت لديهم قبل أن يزوروا البلاد وما بين ما يلمسونه من خلال ملاحـظتهم المباشرة. فإيران تسعى جهدها لتـقديم صورة منطقية وعقلانية عن نفسها الى المجتمع الدولي. وأظن أن هذه المشكلة ستبقى قائمة في المستقبل المنظور.

ان مشكلة الصورة هـذه هي مشكلة شديـدة التعقيد، فهي تعبير عن الازدواجـية أو الثنائية التي تحدثت عنها من قبل بين بعدي السلوك الإيراني القومي والسلوك الأيديولوجي، واعتقد أنه كـان من المتوقع والطبيعي أن نشـهد كل هذه التقلـبات في السلوك الإيراني إزاء الكثير من القضايا ما لم تصبح إيران مرتاحة تماماً إلى الصورة المكونة عنها في الداخل والخارج معاً... وأعتقد أيضاً انه في مـرحلة ما بعـد وقف اطلاق النار، جـرت مناقشـات مهمة جداً حـول هوية إيـران كدولة وكعضو في المجتمع الدولي من ناحية وحول عضويتها في المجتمع الإسلامي الذي تؤلف مركزاً له من ناحيـة أخرى. أظن أن هذا هو التحدي الأكبر للسياسة الخارجية الإيرانية. وقد اشترك في هذه

المناقشات التي أشرت إليـها، والتي هي اساساً مناقشات نظـرية ومفهومية، تيارات ومجموعات فكرية مختلفة. لـذا فإن مسألة الصـورة وسبل بنائها، فضلاً عن مسـألة بناء النموذج، هي من المسائل الأكثر أهمية والحاحاً التي تواجه السياسة الخارجية الإيرانية في السنوات المقبلة